مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

Photo Source: valdaiclub.com (2025)

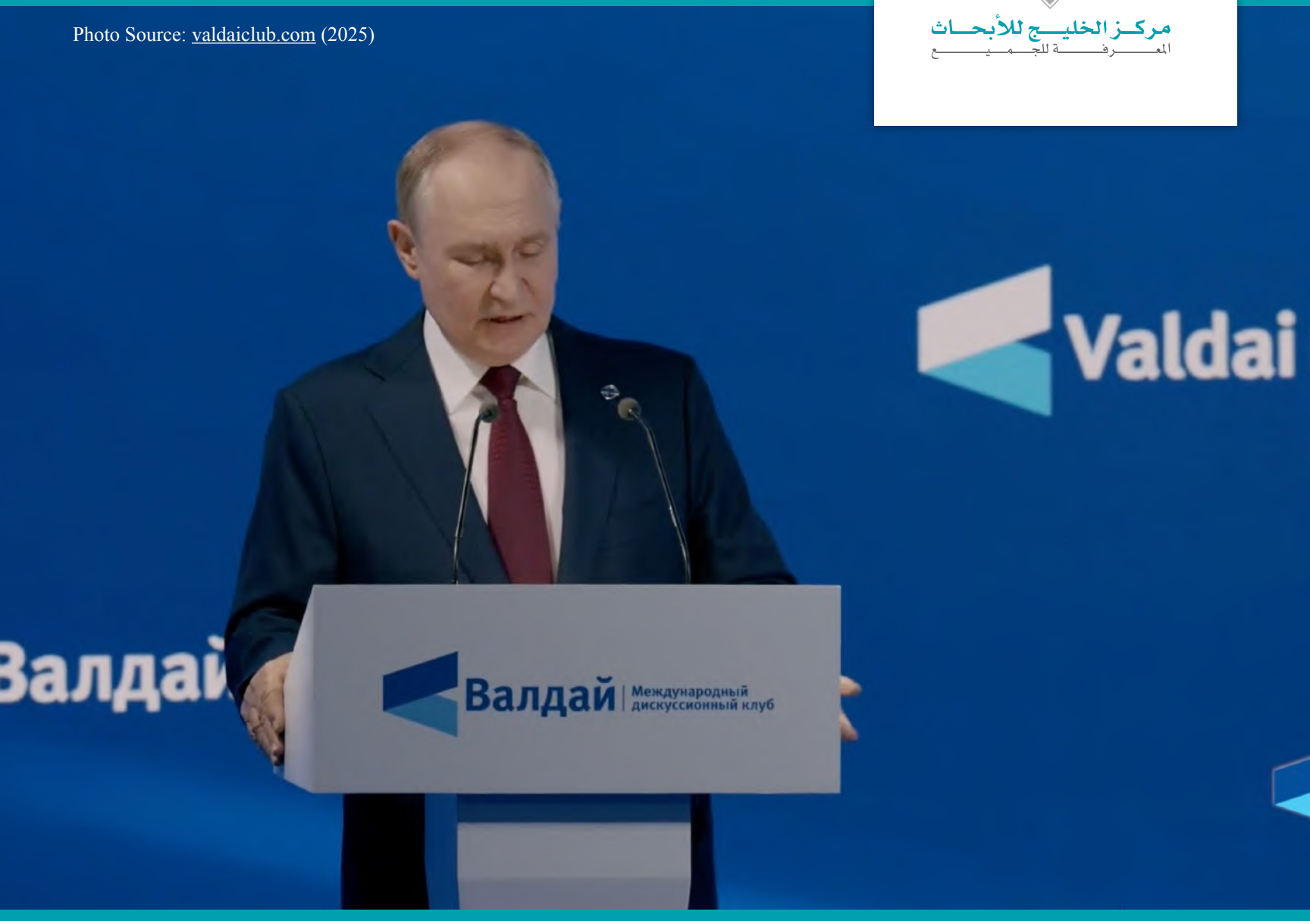

في قمة سوتشي... بوتين: روسيا ستنتصر وأوروبا إلى هامش التاريخ

ملاحظات من مشاركتي في الدورة الثانية والعشرين لمنتدى فالداي

أ.د. صالح بن محمد الخثلان
مستشار أول
مركز الخليج للأبحاث

من منتجع «بوليانا ١٣٨٩» في أعالي جبال **سوتشي**، حيث التأم **منتدى فالداي** في دورته الثانية والعشرين، أطل الرئيس فلاديمير **بوتين** بخطاب يحمل مزيجًا من الثقة والتحدي. تحدث بثبات عن التقدم «يوماً بعد يوم» الذي تحققه القوات الروسية على جبهات القتال، وعن «الانتصارات المتراكمة» رغم ما وصفه بالدعم الغربي غير المحدود لأوكرانيا. في هذا الخطاب، بدا الكرملين كأنه يعلن موقفًا نهائيًا: روسيا اختارت مسارها ولن تتراجع. أما أوروبا، فقد وصفها **بوتين** بأنها «تتقهقر إلى هامش المنافسة الدولية»، وأنها تعاني «أزمة هوية وقرار». في المقابل، أشار إلى تحوّل مراكز الثقل العالمي نحو الشرق والجنوب، حيث ترى موسكو نفسها في موقع مركزي ضمن النظام العالمي الجديد المتعدد الأقطاب.

استضاف المنتدى هذا العام ما يقارب ١٥٠ شخصية: سياسيون، أكاديميون، دبلوماسيون ومفكرون، اجتمعوا في بيئة معزولة جداً خصصت بالكامل للنقاش. امتدت الحوارات من الإفطار وحتى ما بعد العشاء. في كل ركن، كان هناك حديث يدور حول التعددية، والهيمنة، والتحولات الجيوسياسية.

منتدى فالداي، الذي ترعاه مؤسسة مقربة من الكرملين، أصبح خلال العقدين الأخيرين منصة روسية لتقديم رؤيتها للعالم، والمساهمة في «تشكيل الاجندة العالمية»– كما يقول موقع المنتدى. ورغم أن عنوان هذا العام تمحور حول «التعددية في النظام الدولي»، إلا أن النقاشات لم تتوقف عند مستوى التساؤل النظري، بل عكست قناعة راسخة لدى المنظمين وغالبية المشاركين بأننا نشهد بالفعل تشكّل نظام دولي متعدد الأقطاب. بالنسبة لروسيا، لم تعد التعددية مجرد احتمال مستقبلي، بل واقع آخذ في الترسخ، يتجلى في تحولات جيوسياسية واقتصادية ملموسة.

الرسالة الروسية كانت واضحة: العالم تغيّر فعلياً، ولم يعد الغرب مركزه الوحيد. القوى الصاعدة، وفي مقدمتها الصين والهند ودول الجنوب العالمي، باتت تفرض خطاباً جديداً وتخوض نقاشاتها بلغتها وأولوياتها الخاصة، في تحدٍ مباشر للسردية الغربية التقليدية.

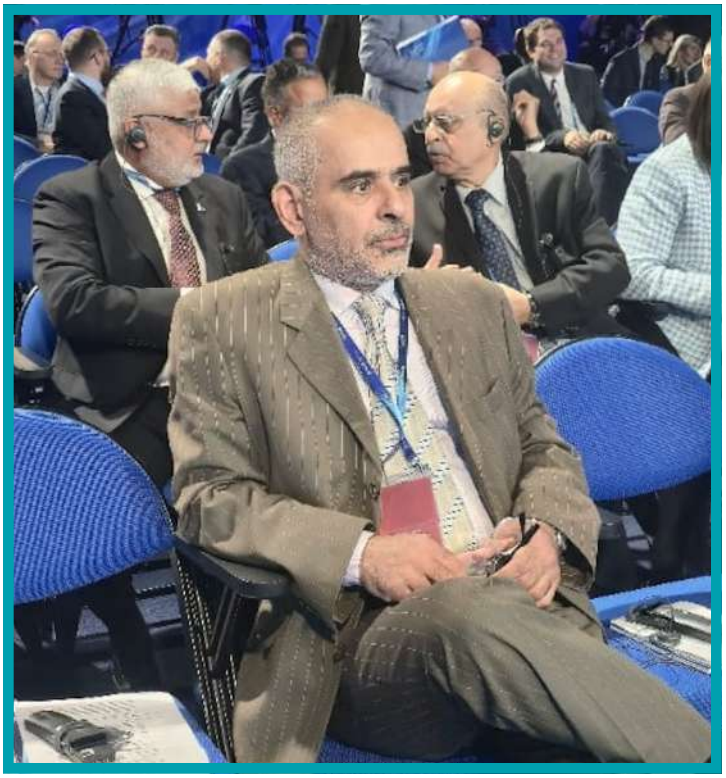

من **سوتشي**، انطلقت النقاشات بنبرة أقرب إلى التبشير بانتهاء حقبة استمرت لخمسة قرون من الهيمنة الغربية، تلك التي جعل فيها الغرب من نفسه معياراً للتقدم الإنساني. لم يكن هذا الطرح حكراً على الروس؛ بل إن معظم المشاركات انطلقت من فرضية ترى في التفكك التدريجي للهيمنة الغربية واقعاً قائماً لا مجرد احتمال. في المقابل، برز صعود قوى جديدة مثل الصين، وروسيا، والهند، إلى جانب دول تمثل «الجنوب العالمي» كتركيا، والمملكة، وجنوب إفريقيا، والبرازيل، وإندونيسيا، كمؤشرات على توازن متزايد في بنية النظام الدولي.

Photo Source: valdaiclub.com (2025)

المشاركون الصينيون كانوا الأشد حماساً وإيماناً بالتعددية، وعبّروا بثقة عن رؤيتهم لعالم ما بعد الغرب. على النقيض، بدت مداخلات المشاركين من الهند أكثر تحفظاً وتساؤلاً، بل لم تُخفِ قلقها من احتمال استبدال هيمنة غربية بأخرى شرقية، في إشارة غير مباشرة إلى الصين. المشاركون العرب، الذين لم يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة، بدوا أكثر حذراً في تبنّي السردية السائدة. مداخلاتهم اتسمت بنبرة تساؤلية لا تقريرية، وتمحورت حول سؤال جوهري: هل نعيش فعلًا في عالم متعدد الأقطاب؟

فرغم إقرارهم بالمؤشرات الاقتصادية التي تعكس صعود قوى جديدة—من معدلات النمو إلى الحصة المتزايدة في الاقتصاد العالمي—إلا أن ترجمة هذه المؤشرات إلى نفوذ سياسي فعلي لا تزال موضع شك. فالواقع الدولي ما يزال يُدار فعلياً من قبل من تصفهم روسيا بـ«الأقلية الغربية»، خاصة في القضايا الكبرى مثل جرائم الإبادة في غزة أو نظام العقوبات الدولية.

أما القوى الصاعدة، فلا تبدو في وضع يمكّنها من شغل هذا الفراغ سريعاً. فالصين لا تزال حذرة للغاية، وتتجنب الانخراط العميق في الملفات الجيوسياسية حفاظاً على تركيزها على التنمية الداخلية. وروسيا، رغم حديثها المتكرر عن الانتصارات، تعاني استنزافاً واضحاً في حربها مع أوكرانيا. أما الهند، فحجم التحديات الداخلية التي تواجهها من فقر وتنوع ديموغرافي وصراعات حدودية، يفرض عليها انكفاءً نسبياً، سيقيد حركتها في محيطها الجغرافي لسنوات مقبلة.

رأى بعض المشاركين أن ما نشهده اليوم لا يمثل نظاماً متعدد الأقطاب بمعناه المستقر، بل هو مرحلة انتقالية تتسم بعدم الوضوح، تتداخل فيها مظاهر أحادية القطبية، وأخرى ثنائية، وأحياناً مؤشرات على تعددية ناشئة ورغم هذا التقدير الحذر، تكررت خلال المنتدى عبارات من قبيل «تراجع الغرب إلى موقع الأقلية العالمية»، في مقابل صعود ما وُصف بـ«نهوض الجنوب العالمي». وقد لمستُ صدىً لهذه العبارات لدى عدد من المشاركين، سواء عن قناعة راسخة أو بدافع المجاملة الدبلوماسية

رغم أن التعددية في النظام الدولي شكّلت المحور الرئيس لنقاشات هذا العام، إلا أن الجلسات اتسمت بشمولية لافتة، حيث تناولت طيفاً واسعاً من القضايا، من بينها الذكاء الاصطناعي، والسيادة التكنولوجية، ومستقبل الديمقراطية في ظل التحولات الرقمية، إلى جانب الهجرة العابرة للقارات، والاقتصاد العالمي، ودور القوة العسكرية في صياغة السياسات الدولية. ومع هذا التنوع في المواضيع، ظلّت فرضية التعددية هي الإطار الناظم والحاكم لتناول جميع هذه القضايا.

التقى المشاركون بعدد من المسؤولين الروس، أولهم كان **وزير الخارجية سيرجي لافروف** الذي أعاد تأكيد رؤية موسكو لما يفترض أن يكون عالم ما بعد الهيمنة، مشيراً إلى أن ملامح نظام دولي متعدد الأقطاب بدأت تتشكل بالفعل، مدفوعة بصعود مراكز جديدة للتأثير السياسي والاقتصادي في آسيا، وأفريقيا، وأميركا اللاتينية. وشدّد لافروف على أن ما يسمّى بـ«الأغلبية العالمية» باتت أكثر وعياً بسيادتها، وأصبحت تدافع عن مصالحها بمعزل عن رغبات القوى الغربية.

نائب رئيس الوزراء ألكسندر نوفاك تحدث مطولًا عن تحولات أسواق الطاقة والتنسيق مع «أوبك+». وأكد أن «روسيا أصبحت رقماً لا يمكن تجاوزه في معادلة الطاقة العالمية". أما **كيريل دميتريف ، رئيس الصندوق السيادي الروسي**، فقد خرج عن السياق الاقتصادي ليتناول موضوعات فكرية. تحدّث عن التحولات القيمية في المجتمعات الغربية، وصعود الحركات اليمينية، ورأى أن ذلك يمهد لـ«توازن فكري جديد» بعد فترة طويلة من الليبرالية المتطرفة.

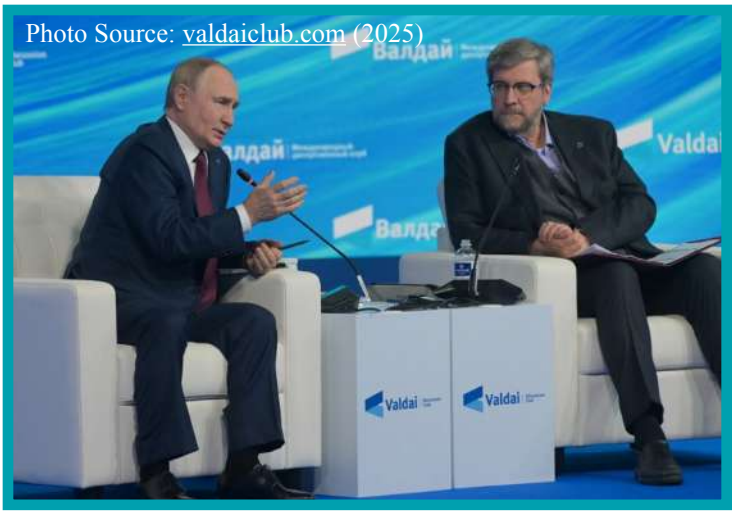

وكان من أبرز المسؤولين الروس أيضاً **عمدة موسكو، سيرجي سوبيانين**، الذي قدّم عرضًا شاملًا لخطة تحويل موسكو إلى «أجمل مدينة في العالم» من حيث البنية التحتية والخدمات. إلا أن وصفه للعاصمة بأنها «الأكثر أمانًا في أوروبا» بفضل **منظومة رقمية شاملة تتلاحق وتراقب العمالة الوافدة وتجمع معلومات جينية** عنهم، أثار قلقاً بين الحضور، رغم حديثه عن فعالية هذه المنظومة في خفض معدلات الجريمة.

ذروة المنتدى كانت في لقاء **الرئيس بوتين** بالمشاركين. بعد ثلاث ساعات من الانتظار، امتد اللقاء أربع ساعات، خُصصت ساعة منها لخطابه، وثلاث للحوار المفتوح. جل حديثه كان عن رؤيته لانتهاء «عصر الهيمنة الغربية»، وبروز روسيا الآن في «موقع قوة وثقة». وصف **بوتين** الصراع في أوكرانيا بأنه «معركة ضرورة»، ورأى أن أي تسوية لا تقضي على ما سماه «الهيمنة النازية في كييف» لن تفضي إلى سلام، بل ستكون مجرد تأجيل لصراع آخر.

ذروة المنتدى كانت في لقاء الرئيس بوتين بالمشاركين. بعد ثلاث ساعات من الانتظار، امتد اللقاء أربع ساعات، خُصصت ساعة منها لخطابه، وثلاث للحوار المفتوح. جل حديثه كان عن رؤيته لانتهاء «عصر الهيمنة الغربية»، وبروز روسيا الآن في «موقع قوة وثقة»

تحدث **بوتين** عن الغرب بوصفه «كياناً مأزوم يهرب من أزماته الداخلية باختلاق خصومات خارجية». وأشار كذلك إلى ما اعتبره مظاهرَ ضعفٍ داخلية في أوروبا — من اضطرابات في الشوارع، وتراجع اقتصادي وصناعي، وأزمات في الهوية الثقافية، وديون متصاعدة، وضعف نظم الضمان الاجتماعي، إلى هجرات غير مضبوطة وتنامٍ في مستويات العنف — مستخلصًا أن أوروبا «تنزلق إلى هامش المنافسة العالمية». وبيّن أن الخطاب الأوروبي عن تهديدات روسية كثيرًا ما يفتقر إلى أساس، لكنه حذّر في الوقت نفسه من خطورة تهيئة الرأي العام عبر الإيحاء الذاتي بالمخاوف، ما يجعل مراقبة موسكو لتطورات عسكرة أوروبا وإمكاناتها أمراً لا مفرّ منه، مع تحذير صريح بأن ردّ روسيا، إذا تطلّب الأمر، سيكون حازمًا ومقنعًا.

لم يخلُ خطاب الرئيس **بوتين** من نبرة ساخرة تجاه أوروبا ومخاوفها المتزايدة من روسيا، حيث استخدم السخرية لتقويض منطق تلك المخاوف، حين تساءل عن جدوى الحديث الأوروبي عن «الطائرات الروسية التي تطير فوق بحر البلطيق دون تشغيل أجهزة الإرسال»، مذكّراً بأن طائرات الناتو تفعل الشيء نفسه. ثم مضى إلى التهكم من «الذعر» الغربي من الطائرات المسيّرة الروسية، ومازح **مدير اللقاء** بأنه لن يرسل طائراته إلى الدنمارك أو فرنسا أو حتى لشبونة، قبل أن يضيف بجدية لافتة: «ولِم لا؟ ربما أفعل». هذه المفارقة الساخرة، التي تمزج المزاح بالتحذير، عكست محاولة مقصودة لتصوير أوروبا كقارة مرتبكة، تخشى ظلّها، وتُضخّم تهديد روسيا لتبرير زيادة الإنفاق الدفاعي. في عمق هذا التهكم رسالة سياسية: أن موسكو لم تعد تأخذ المخاوف الأوروبية على محمل الجد، وترى فيها غطاءً لأزمة اقتصادية وسياسية داخلية عميقة.

نقد **بوتين** الحاد لأوروبا ونخبها الحاكمة، قابله ثناء لافت على الرئيس **دونالد ترامب** حيث عبّر عن ارتياحه للقاء به في **أنكورِج** (ألاسكا)، واصفاً ترامب ب«السياسي الواقعي والصريح» مقابل ما اعتبره «غموضاً ونفاقاً» في الإدارات الديمقراطية. وقال **بوتين** حرفياً: «لقد عرفت الرئيس ترامب منذ زمن طويل. قد يبدو للناس نوعاً ما صادماً، وهذا واضح للجميع، لكن، وبشكل لافت، هو من نوع الأشخاص الذين يعرفون كيف يستمع. إنه يستمع، يسمع، ويستجيب. وهذا، أقول، يجعله **شريكاً مريحاً للحوار**».

في أروقة المنتدى، كانت الثقة الروسية واضحة؛ فالأرقام التي عرضها **نوفاك** تشير إلى نمو اقتصادي يتجاوز ٤٪، وهو أعلى من معظم دول أوروبا، رغم العقوبات الغربية. وُعزيت هذه النتائج إلى توسيع العلاقات مع الصين والهند ودول الجنوب العالمي، إضافة إلى سياسات نقدية صارمة. لكن، رغم هذا التفاؤل، كان هناك قلق واضح فقد تحدّث نوفاك عن اختلالات سوق العمل، نتيجة تضخم دور القطاع العسكري الصناعي، ما قد ينعكس على الاقتصاد الكلي في المدى الطويل

لم يخلُ خطاب الرئيس بوتين من نبرة ساخرة تجاه أوروبا ومخاوفها المتزايدة من روسيا، حيث استخدم السخرية لتقويض منطق تلك المخاوف، حين تساءل عن جدوى الحديث الأوروبي عن «الطائرات الروسية التي تطير فوق بحر البلطيق دون تشغيل أجهزة الإرسال»

أعود إلى ملاحظة شخصية: التعددية التي تروج لها روسيا لا تزال في معظمها خطاباً لا واقعاً. فالغرب، رغم تراجعه، لا يزال يمتلك مفاتيح النظام المالي العالمي، ويهيمن على المؤسسات الاقتصادية الكبرى كصندوق النقد الدولي، ويحتفظ بقدرة عالية على تعطيل آليات النظام الدولي. أما القوى الصاعدة، فرغم توسعها، لا تزال تعاني من غموض في الهوية واختلاف في الأولويات. وهذا ما يضعف المؤسسات التي يُروج لها كأدوات لهذا الصعود مثل **بريكس** على سبيل المثال، تفتقد للتماسك. وشقيقتها **منظمة شنغهاي للتعاون**، رغم ما يُقال عنها، تظل تنظيماً إقليمياً جوهره التعاون الأمني في آسيا الوسطى. وإذا استمرت في التوسع، فستفقد تركيزها على هذا الهدف المركزي، ما قد يؤدي إلى ضعفها، تماماً كما هو حال **بريكس** بعد التوسع.

بعد أربعة أيام من المشاركة في جلسات المنتدى، تعززت قناعتي التي تشكّلت منذ سنوات أثناء تدريسي لمقرر «المشكلات الدولية المعاصرة» في **قسم العلوم السياسية بجامعة الملك سعود** بوجود تحوّلات حقيقية في بنية النظام الدولي. ومع ذلك، كثيراً ما نستعجل تفسير هذه التحوّلات ونضخّم من أثرها. فلا خلاف في أن النظام العالمي يشهد تغيرات مهمة، لكن تعقيده الراهن لا يسمح بقراءة هذه التغيرات عبر مقاربات تقريرية مبسطة. إن الفهم المنهجي لهذه التغيرات يتطلّب تأمّلاً أعمق في دلالاتها، واعتماد مؤشرات أدقّ، ومنهجيات تحليل توفّق بين الإطار النظري والقراءة الواقعية المتأنّية قبل الوصول إلى استنتاجات قاطعة.

Photo Source: valdaiclub.com (2025)

Gulf Research Center
Knowledge for All

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

Gulf Research Center
Jeddah
(Main office)

19 Rayat Alitihad Street
P.O. Box 2134
Jeddah 21451
Saudi Arabia
Tel: +966 12 6511999
Fax: +966 12 6531375
Email: info@grc.net

Gulf Research Center
Riyadh

Unit FN11A
King Faisal Foundation
North Tower
King Fahd Branch Rd
Al Olaya Riyadh 12212
Saudi Arabia
Tel: +966 112112567
Email: info@grc.net

Gulf Research Center
Foundation

Avenue de France 23
1202 Geneva
Switzerland
Tel: +41227162730
Email: info@grc.net

Gulf Research Centre
Cambridge

University of Cambridge
Sidgwick Avenue,
Cambridge CB3 9DA
United Kingdom
Tel:+44-1223-760758
Fax:+44-1223-335110

Gulf Research Center
Foundation Brussels

4th Floor
Avenue de
Cortenbergh 89
1000 Brussels
Belgium
grcb@grc.net
+32 2 251 41 64

@Gulf_Research Gulfresearchcenter gulfresearchcenter gulfresearchcenter

www.grc.net

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع